توظيف النص القرآني عند الإمام الحسين عليه السلام

الباحث
محمد علي عبود الحسيني
جمهورية إيران الإسلامية ـ جامعة فردوسي مشهد

المقدمة:

إن من موارد الوقوع في الهلاك من يظن أنه متمسك بالكتاب إذا أهمل العترة، وكذلك يهلك من يظن أنه متمسك بالعترة إذا أهمل الكتاب لأنهما لا يفترقان أبداً، فحيث وجدت نفسك مفترقاً عن أحدهما، فاعلم أنك قد افترقت عن الآخر أيضاً، والنجاة لا تكون إلا بالتمسك بهما معاً، ويكفي هذا الحديث الشريف الذي رواه الشيعة والسنة وصححوه في إثبات مكانة الحسين في الدين الإسلامي، وفي إثبات أن الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة، إذ مفاد الحديث أن من يتخلى عن الحسين يكون فريسة للضلال والهلاك، والحسين الذي يلازم القرآن (المعصوم) في كل شؤونه ولا يفترق عنه أبداً لا بد أن يكون هو معصوماً أيضاً بل جميع الصفات الكمالية للقرآن الكريم هي ثابتة أيضاً لقرينه الذي لا يفارقه، تأسيسا على ما تقدم يتضح محور العلاقة بين الامام الحسين عليه السلام والقرآن الكريم فهي علاقة متينة ووطيدة، فكل منهما يرشد الأمة إلى الآخر ويبينّ فضله ويوصي به، فالحسين عليه السلام هو القرآن الناطق، وهو المفسّر للقرآن، وحاميه، وما الثورة الحسينية إلا لاستمرار رسالة القرآن والحفاظ عليه وليحتل القرآن الكريم مكانته الصحيحة في حياة المجتمع البشري، لأن القرآن الكريم كلام الله تعالى الذي لا ينطق الّا بالحقّ وهو المعجزة الخالدة للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، بعلومه ومعارفه، الا أنّ الإستفادة من تمام علومه لا يمكن الّا بالرجوع الى من حمل علم الكتاب كلّه، وهم الرسول وآله صلوات الله عليهم أجمعين، فعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ((إنّ الله تبارك وتعالى طهّرنا وعَصَمَنَا وجلعنا شهداء على خلقه وحجّته في أرضه وجعلنا مع القرآن، وجعل القرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا.))[1]، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: ((هم حُجج الله في أرضه وشهداؤه على خلقه خزان علمه وتراجمه وحيه ومعادن حكمته من أطاعهم أطاع الله ومن عصاهم عصى الله هم مع القرآن والقرآن معهم لا يفارقونه حتّى

يردوا عليّ الحوض))[٢].

ويكفي ما خاطب به الإمام الحجّة المنتظر عجل الله فرجه جدّه سيّد الشهداء عليه السلام في الزيارة المعروفة بالناحية المقدّسة: ((كنتَ للرسول ولدا وللقرآن سندا وللأمّة عضدا))[٣]، فسنديّة الإمام الحسين عليه السلام، للقرآن تكون ببيان علومه ومعارفه وتطبيق أحكامه والإلتزام بمضامينه.

أما بالنظر إلى أهمية دراسة الموضوع فتكمن ببيان امرين هامين:

الأمر الأوّل: إنّ مظلومية سيّد الشهداء وجفاء الناس إيّاه وخذلانهم له، ينبئ عن مدى ابتعادهم عن حقائق القرآن والدين الحقّ، وهذا الخذلان لم ينحصر في طائفة معيّنة، بل كان هو السواد الأعظم والأمّة بأكملها، وإن ادّعت الإسلام وطافت بالبيت وحجّت وصامت، وإلّا كيف يُقتل سبط رسول الله بين أظهرهم ولا يحرّكون ساكنا بل يقفون ضدّه يحاربونه..؟!.

الأمر الثاني: إنّ معنى كون الإمام الحسين عليه السلام شريك القرآن أنّ عيشه وحياته وأنسه كان هو القرآن، فقد اختلط كلام الله تعالى بدمه ولحمه، وعاش القرآن وتعالَيمه وأحكامه وعلومه، وكان فعله انعكاسا للقرآن، كما قوله فهو القرآن الناطق.

فإنّه صلوات الله عليه، كان شديد الحبّ للإندماج مع كتاب الله، وقد استمهل أعداءه ليلة شهادته كي يتلوه.. بل أنّه صلوات الله عليه لم يُفتيء يرتّل القرآن حتّى بعد شهادته. من هنا كان لزاما على الباحث تحقيق الحال وجمع النصوص القرآنية التي استشهد بها الامام الحسين عليه السلام وكيفية توظيفه لها في كافة المجالات والصعد المختلفة، وكان موضوع بحثي له بعنوان (توظيف النص القرآني عند الامام الحسين) ومن دواعي سروري وفخري ان اوفق لكتابة بحث متواضع حول ما انتجه سيد الشهداء ابي عبد الله الحسين من عطاء قراني في مجال اصلاحه للأمة.

أما بالنظر إلى اهمية البحث واسباب اختيار الموضوع فقد كان ناشئا من عدة اسباب وهي:

١- ولعي وحبي لشخص الامام الحسين عليه السلام وطبعا يميل الانسان لما يحب ويرغب.

٢- إبراز دور الامام الحسين عليه السلام في المجال القرآني وصياغته بصورة فنية تتناسب مع

القيمة المعرفية لدى الامام.

٣-عدم اهتمام الباحثين والمتخصصين في هذا المجال ببيان التوظيف القرآني الذي لازم الامام في كل تصرفاته وسلوكه.

٤- جمع وتنظيم وترتيب ما هو مشتت في مطاوي الكتب والمصادر القديمة مما استند اليه الامام عليه السلام في مقام المحاورة والكلام بالنصوص القرآنية.

٥- اما بالنسبة للدوافع والاسباب الشخصية التي جعلت من الباحث يهتم بهذا الموضوع هو عدم وجود مصنف مستقل - قديما وحديثا - يهتم بعرض جميع ما استشهد به الامام عليه السلام من النصوص القرآنية، مما حدا بالباحث ان ينبري ليكتب عن هذا الموضوع

٦- الاهتمام والعناية بهذا المجال تساهم في تنمية العلم وتقدمه في مجال تخصصه

٧- مساعدة طلاب العلم وبخاصة المهتمين بالدراسات القرآنية على الاحاطة ولو بقدر يسير بهذا الموضوع توفيرا للوقت والجهد

أما منهجية البحث التي سار عليها الباحث في بحثه هي تقسيم البحث الى اربعة محاور، ابتداء من المحور الاول الذي تحدثت فيه عن لقاء الامام الحسين عليه السلام مع مروان بن الحكم ونصحه له بالبيعة ليزيد مع بيان كيفية رد الامام عليه واستشهاده بالآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾(٤) وغيرها، أما المحور الثاني فقد تكلمت فيه عن مسالة خروج الامام الحسين عليه السلام وتلاوته للقران وهو في سيره كقوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(٥)، واما المحور الثالث فقد ذكرت فيه دخول الامام عليه السلام الى مكة واستشهاده بالآية المباركة المتمثلة بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾(٦)، أما ما يخص المحور الرابع فقد خصصت الكلام فيه عن جواب الامام عليه السلام لكتاب ارسله يزيد بن معاوية لأهل المدينة وفيه ابيات من الشعر فردها الامام وكان مضمنا اياها بالشواهد القرآنية كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٧).

وانهينا الدراسة بخاتمة سجلنا فيها اهم النتائج التي توصل البحث اليها، وقائمة بالمصادر والمراجع التي افادت منها الدراسة.

المحور الاول

لقاء الامام الحسين عليه السلام مع مروان بن الحكم ونصحه له بالبيعة ليزيد

استشهد الامام الحسين عليه السلام بقوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[٨] عندما لقيه مروان بن الحكم ونصحه ببيعة يزيد بن معاوية، فقال عليه السلام بعد ان تلا الآية المباركة (وعلى الاسلام السلام اذ قد بليت الامة براع مثل يزيد)[٩]، فالإمام عليه السلام قد وظف هذه الآية ليعلم الطرف المقابل المتمثل بمروان بتأسفه الشديد مما جاء به من امر ببيعته ليزيد، فبيعة يزيد في منظار الامام تمثل مصيبة كبرى له وللمسلمين، لذلك تحتم على الامام بان يستشهد بهذا النص القرآني، واذا ما رجعنا الى صدر هذه الآية فان الامر يكون جليا وواضحا، اذ يقول تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، وبعد كلام طويل بينهما بلهجة خشنة قال الامام: (ويلك يا مروان إليك عني فإنك رجس و إنا اهل بيت الطهارة الذين انزل الله جل وعلا على نبيه محمد صلى الله عليه وآله)[١٠]وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١١]، فمن الملاحظ ان الامام تلا له اعظم اية تبين طهارة وعصمة اهل البيت عليهم السلام عموما والامام الحسين خصوصا، وهذا التوظيف للنص القرآني كان في محله، إذ ان الامام لم يكتف بقوله لمروان باني طُهرٌ ومن بيت طاهر فحسب وانما جاء بآية (العرب والعجم) تعرف انها نزلت فيهم عليهم السلام والامام الحسين منهم، وما هذا الا جانب من جوانب تذكير مروان بمنزلة وعظمة الامام وانه ولد في بيت الرسالة ومهبط الوحي ونزول القران.

المحور الثاني

خروج الامام الحسين من المدينة

عندما امتنع الإمام الحسين عن بيعة يزيد بن معاوية، كان موقنا أن المواجهة قد بدأت بينه وبين يزيد، تماما كما بدأت بين موسى وفرعون مصر، وعندما خرج الإمام الحسين من المدينة المنورة كان لديه الإحساس العميق بأنه يفر من يزيد وجنوده تماما كما فر موسى من فرعون مصر وجنوده، كان الإمام الحسين موقنا أنه وأهل بيته وأصحابه غرباء تماما،

يسيرون في مملكة بني أمية بلا ناصر، ولا معين، بين قوم قلوبهم غلف، لا يعون ولا يرحمون وقد أثبتت الوقائع بالفعل في ما بعد لأن فرعون مصر وجنوده كانوا بمنتهى الرحمة والخلق إذا ما قيست أفعالهم بافعال جيش الأمويين، فعندما غادر الإمام المدينة المنورة تلا قوله تعالى[١٢]: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١٣]، فقد وظف الامام عليه السلام هذه الآية وجاء بها ليعلم الناس بانه هناك نحوُ مقارنة بين خروجه من المدينة وخروج موسى ايضا، إذ ان الهدف لكليهما واحد وهو ابقاء الدين والحفاظ عليه وعدم هتك حرمته، والامام بهذه المقارنة قد اثبت العصمة لنفسه كثبوت العصمة لموسى عند المسلمين، وكذا كونه خليفة الله في ارضه كما كان موسى خليفة الله في ارضه عندما ارسله الى قوم فرعون، وما ذكره الامام هو عين ما قاله موسى عندما فر من فرعون مصر وجنوده، والإمام الحسين الذي اختاره الله إماما وأعده وأهله لا يلقي الكلام على عواهنه، إنما يُبرز بكلامه ومقارنته أدق المخفيات بصيغة يفهمها المكلفون فهماً كاملا، لتقوم الحجة عليهم وفق موازين الحق ومعاييره وهذا جلُ ما تشترك به قضية خروج الامام وخروج موسى، وما هذا الا بعد هام من ابعاد النص القرآني الذي استشهد به الامام في مسألة خروجه من المدينة.

المحور الثالث

دخول الامام الحسين إلى مكة

ولما وصل الإمام الحسين إلى مكة[١٤]، تلا قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[١٥]، وهو عين ما قاله موسى عندما ابتعد نسبيا عن الخطر وعندما أشرف على مدين !! فالتمثل بقول موسى في مكانين مختلفين، وفي فترتين زمنيتين متباعدتين وتوظيفه للنص القرآني في الحادثتين يُظهر لنا عدة جوانب غاية في الاهمية وهذه الجوانب تتمثل بـ:

١- هذا الامر يعكس بوضوح وحدة المحنة بين النبي موسى عليه السلام والإمام الحسين.

٢- وحدة الجو النفسي بينهما والتشابه بالحالتين.

٣- التطابق في طبيعة الخصمين.

٤- وحدة المعاناة.

وهذه الجوانب كلها كامنة في هذا النص القرآني الذي استشهد به الامام عليه السلام لهذا فإن الإمام الحسين يستعين بإعجاز القرآن ليضع الأمة معه في موقفه وطبيعة معاناته.

المحور الرابع

جواب الامام عليه السلام لما كتبه يزيد لأهل المدينة

لما كتب يزيد بن معاوية كتابا لأهل المدينة فيه أبيات من الشعر فنظر اهل المدينة الى هذه الابيات ثم وجهوا بها وبالكتاب الى الامام الحسين عليه السلام فلما نظر فيه علم انه كتاب يزيد بن معاوية، فكتب الامام عليه السلام[١٦]: الجواب: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾[١٧] اراد الامام بهذه الآية تلقين يزيد بانه بريء منه لتكذيبهم اياه، فهو يفهمهم بعدم وجود أي اجبار واصرار على قبولهم الدعوة الاسلامية بل انهم لا يضرون الا انفسهم بمخالفتهم الامام ومحاربته، ونظير ما استشهد به الامام نجده في آيات اخرى في القران كقوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[١٨]، حتى ان هذه المواجهة بين الامام ويزيد عدت نوعا من المواجهة المنطقية عن طريق عدم الاكتراث لهؤلاء الاشخاص المعاندين، فالحسين عليه السلام ومن خلال موقفه هذا يعطينا درسا في الثبات على المبدأ وعدم تزعزعه امام الضغوطات وحمل الناس على اتباع الحق ان قبلوا بذلك.

الخاتمة ونتائج البحث:

١- ومن الغبن أن لا نرى في القضية الحسينية إلا جانباً واحداً فقط، الجانب المأساوي الحزين - رغم قدسيته - دون أن ندع جانب الفكر والموقف والقدوة ينطلق ليشكل تفاعلاً منسجماً بين الفكر والعاطفة. فهدف الإمام الحسين عليه السلام من واقعة الطف كان إصلاح هذه الأمة والعمل على تغيير الواقع السيئ إلى واقع الإسلام المبارك

٢- وكان الحسين مصلحاً يهدف من نهضته والمواقف التي سبقت نهضته إصلاح ما انحرف من مسار الأمَّة عن الخطِّ الذي رسمه رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر عن طريق توظيف النص القرآني، ويسعى لأنْ يسود بين عباد الله العدل والقسط، وينكر على بني أميَّة سياسة التضليل والتجهيل وإشاعة الرذيلة وإثارة الفتن.

٣- مع أن أهل البيت عليهم السلام هم حقيقة القرآن المتجسدة في الأفعال، ومع ذلك فإنهم لم

يتركوا هذا الكتاب السماوي أبدا، بل كانوا على تواصل دائم معه قراءة وتفسيراً وتوجيهاً وتعليما، باعتبار أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، وهل هناك أعظم وأفضل من أن يتحدث العبد مع ربه، لا بكلام يخترعه العبد من عند نفسه، بل يحدث الله تعالى ويتكلم معه بكلامه جل وعلا، وإذا استشعر المرء حقيقة هذا المعنى فإنه لا شك أنه يأنس أنساً لا حدود له، وهذا ما نراه في الإمام الحسين عليه السلام الذي يعلمنا في كربلاء كيف نحافظ على هذا الكتاب المقدس، حتى في أصعب اللحظات، يعلمنا كيف نتمسك به ولو كنا في آخر لحظات حياتنا، وذلك حينما قال لأخيه العباس: ارجع إليهم فان استطعت أن تؤخرهم إلى غدوة وتدفعهم عنا العشية لعلنا نصلى لربنا وندعوه ونستغفره فهو يعلم أني قد كنت أحب الصلاة له وتلاوة كتابه وكثرة الدعاء والاستغفار

Abstract

This research is trying to seek to monitor the script to interact with the Koran in the words of Imam Hussein، peace be upon him and how to employ and martyrdom texts Koranic، while Pat employ Qur'anic text means practiced by the Imam (peace be upon him) always and in all circumstances، and our belief in the strong Paloaij that linking Imam Hussein (peace be upon him)، the Qur'an Based on the availability of an interactive relationship with the Quranic text in his own words and his speeches and his letters and his answers which formed a prominent feature represents the most important technical features and objectivity alike this study، which seeks to read the script to interact with the Koran in words Imam (peace be upon him) and represented by (eleven axis) indicating which interactive relations with Koranic texts، which represents the characteristic normalized by the various sections and sections of his speeches and his words about the remarkable.

هوامش البحث

(١) اصول الكافي - محمد بن يعقوب الكليني: ١٩١/١،ح٥ ، باب ان الائمة شهداء الله على خلقه.
(٢) بحار الانوار- محمد باقر المجلسي: ١٥٠/٢٢، ح١٤٢.
(٣) م.ن :٢٣٩/٩٨.
(٤) سورة البقرة / ١٥٦.
(٥) سورة القصص/٢١.
(٦) نفس السورة/٢٢.
(٧) سورة يونس/٤١.
(٨) سورة البقرة/١٥٦.
(٩) الفتوح - احمد بن اعثم :١٧/٥، مقتل الحسين- الموفق بن احمد الخوارزمي : ١٨٤/١.
(١٠) المصادر نفسها.
(١١) سورة الاحزاب / ٣٣.
(١٢) تاريخ الطبري- محمد بن جرير:٢٧٢/٣ ،الفتوح :٢٢/٥، مقتل الحسين : ١ /١٨٤.
(١٣) سورة القصص / ٢١.
(١٤) تاريخ الطبري : ٣/ ٢٧٢، الفتوح : ٢٥/٥، بحار الانوار- محمد باقر المجلسي : ٣٣٢/٤٤.
(١٥) سورة القصص / ٢٢.
(١٦) تاريخ الطبري : ٢١٧/٦ ، الفتوح : ٥ /٦٨.
(١٧) سورة يونس/ ٤١.
(١٨) سورة الكافرون /٦.

قائمة المصادر والمراجع

- خير ما نبتدئ به القرآن الكريم

١- الاخبار الطوال، ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري (ت٢٨٢هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار احياء الكتب العربي- عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، ط١ ١٩٦٠م.

٢- تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري(ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٧٢م

٣- الفتوح، احمد بن اعثم الكوفي(٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الاضواء، بيروت، ط١، ١٤١١هـ